الفصل السابع:
فضل الدعاء

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السابع: فضل الدعاء

الله يحب الدعاء

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾﴾[2].

أحاديث نبوية

* عَنْ أَبِي الدَرْدَاء رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُول: «**دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِم لأَخِيْهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيْهِ[3] بِخَيْرٍ قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِيْنَ وَلَكَ بِمِثْلٍ**»[4].

* وَعَنْ عُبَادَةَ بن الصَامت رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا عَلَى الأَرضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إِلَّا أَتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْم، أَوْ قَطِيْعَةِ رَحِمٍ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إِذَا نُكْثِرُ[5]، قَالَ: «**اللهُ أَكْثَرُ[6]**»[7].

❀ ❀ ❀

---

(1) سورة: البقرة، الآية: 186 .
(2) سورة: إبراهيم، الآية: 39 .
(3) لأخِيْهِ: أي في الإسلام .
(4) رواه مسلم .
(5) إذا نُكْثِرُ: أي من الدعاء .
(6) الله أكْثَرُ: أي أكثر إحساناً مما تسألون .
(7) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح .

جعل الله قبرها تحت قدمها

في زمن بني أمية وقعت بسعيد بن زيد ـ أحد العشرة المبشرين بالجنة ـ حادثة ظل أهل يثرب يتحدثون بها زمناً طويلاً.

ذلك أن أروى بنت أويس زعمت أن سعيد بن زيد قد غصب شيئاً من أرضها وضمها إلى أرضه وجعلت تتحدث بهذا الأمر بين المسلمين، ثم رفعت أمرها إلى مروان بن الحكم والي المدينة فأرسل إليه مروان أُناساً يكلمونه في ذلك، فصعب الأمر على صاحب رسول الله ﷺ وقال: يروننني أظلمها!! كيف أظلمها؟! وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ظلم شبراً من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين**»[1].

اللَّهم إنها قد زعمت أني ظلمتها فإن كانت كاذبة فأعم بصرها وألقها في بئرها الذي تنازعني فيه، وأظهر من حقي نوراً يُبِّين للمسلمين أَني لم أظلمها.

فلم يمضِ غير قليل حتى سال العقيق[2] بسيل لم يَسِل مثله قط، فكشف عن الحدِّ الذي كانا يختلفان فيه، وظهر للمسلمين أن سعيداً كان صادقاً.

ولم تلبث المرأة بعد ذلك شهراً حتى عميت وبينما هي تطوف في أرضها تلك سقطت في بئرها.

قال عبد الله بن عمر: فكنا ونحن غلمان نسمع الرجل يقول للرجل أعماك الله كما أعمى الأروى[3].

الله ينصر المظلوم

قال بعضهم: رأيت رجلاً مقطوع اليد من الكتف وهو ينادي: من رآني فلا يظلمنَّ أحداً، فتقدمت فقلت له: يا أخي ما قصتك؟ قال: يا أخي قصتي عجيبة، رأيت يوماً صياداً وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتني، فجئت إليه فقلت: أعطني هذه السمكة.

---

(1) حديث صحيح رواه مسلم في: باب: تحريم الظلم.
(2) العقيق: وادي في المدينة يجري فيه السيل.
(3) في كتاب الكبائر للذهبي.

فقال: لا أعطيكها حتى آخذ ثمنُها قوتاً لعيالي، فضربته وأخذتها منه قهراً ومضيت بها.

قال: فبينما أنا أمشي بها حاملها إذا عضت على إبهامي عضة قوية، فلما جئت بها إلى بيتي وألقيتها من يدي وإبهامي تؤلمني ألماً شديداً حتى لم أنم من شدة الوجع والألم و وَرِمَتْ يدي، فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت إليه الألم فقال: هذه بدء الآكلة[1] اقطعها و إلا قطعت يدك، فقطعت إبهامي، ثم ضربت عليَّ يدي فلم أطق النوم من شدة الألم، فقيل لي: اقطع كفك، فقطعته، وانتشر الألم إلى الساعد وآلمني ألماً شديداً فقيل لي: اقطعها إلى المرفق، فقطعتها، فانتشر الألم إلى العضد أشد من الألم الأول فقيل: اقطع يدك من كتفك و إلا سرى إلى جسدك كله فقطعتها، فقال لي بعض الناس: ما سبب ألمك؟ فذكرت قصة السمكة.

فقال لي: لو كنت رجعت إلى صاحب السمكة واستحللت منه ما أصابك الألم وما قُطِع من أعضائك عضو، فاذهب الآن إليه واطلب رضاه قبل أن يصل الألم إلى بدنك.

قال: فلم أزل أبحث عنه في البلد حتى وجدته، فوقعت على رجليه أُقبلهما وأبكي فنهاني، فقلت له: يا سيدي سألتك بالله إلا عفوت عني. فقال لي: ومن أنت؟

قلت: أنا الذي أخذت منك السمكة غصباً وذكرت له ما جرى معي وأريته يدي، فبكى حين رآها ثم قال: يا أخي قد سامحتك وعفوت عنك.

فقلت: يا سيدي بالله عليك هل كنت قد دعوت عليَّ لما أخذتها؟ قال: نعم دعوت «اللهم إنَّ هذا تَقَوّى عليَّ بقوته على ضعفي ظلماً على ما رزقتني فأرني قدرتك فيه».

فقلت: يا سيدي قد أراك الله قدرته فيَّ وأنا تائب إلى الله ﷻ.

---

(1) الآكلة: داء في العضو يتآكل منه.

قال عبد الله بن سلام: «إن الله تعالى لمَّا خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى السماء، وقالوا: يا رب مع من أنت؟ قال: مع المظلوم حتى يؤدّى إليه حقه»[1].

❀ ❀ ❀

تعفَّن جسدَهُ وهو حيٌّ

قال ﷺ: «من لا يرحمُ الناس لا يرحمهُ الله»[2].

وقال ﷺ: «لا تنتزعُ الرحمةُ إلا من شقيٍّ»[3].

أخبرني بعض أهل الثقة أن رجلاً كان يعمل بالسحر، ويأتي بأعمال محرَّمة، كالتفريق بين الزوجين، ويتعاطى المحرمات مثل دخول دورة المياه بالمصحف وقد لبسه في رجليه على هيئة الحذاء!! والعياذ بالله وغير ذلك من الأعمال المكفرة. وانطلقت الألسن المتضرعة بالدعاء عليه، فالسماء قبلة المستضعفين والمظلومين.

وفي بعض الكتب يقول الله تعالى: «اشتدَّ غضبي على من ظلم ومن لم يجد ناصراً غيري»[4] ودارت عجلة الزمن وأخيراً آن للمجرم أن يذوق مرارة العذاب ويشرب من نفس الكأس الذي طالما سقاه لعباد الله.

ابتلاه الله بمرض أقعده وأمرضه، وطفح المرض على جلده فامتلأ بالقيح والصديد، ووقف الطب أمام مرضه عاجزاً لا يبدي ولا يعيد وحرَّم عليه مس الماء، وفاحت منه رائحة كريهة يشُمها المارون على بيته من على بعد عدة أمتار!! وجعل يئن ويتأوه، وطال عذابه واستعجل الموت وتمناه فلم يجده وظل هكذا يتجشم الأوصاب ويتجرع كؤوس العذاب عدة سنوات ثم قضى عليه الموت ليقف أمام الديَّان الذي لا يموت.

❀ ❀ ❀

(1) نهاية الظالمين.
(2) حديث صحيح: رواه البخاري ومسلم والترمذي.
(3) إسناده حسن: رواه أبو داوود واللفظ له.
(4) الكبائر للذهبي.

دعوات أُجيبت لصاحبها

«عتيبة الغلام»:[1]

سُمِّي الغلام لجدِّه واجتهاده وهو الخاشع الزاهد، كان من نساك أهل البصرة ويأوي إلى السواحل والمقابر، وكان رأس ماله فلساً يشتري به خوصاً يعمله ويبيعه بثلاثة فلوس، فيتصدق بفلس، ويتعيش بفلس، وفلس رأسماله ونازعته نفسه لحماً فما طالها سبع سنين.

قال سليم الحبيفُ: رأيت عتبة ذات ليلة بساحل البحر، فما زاد حتى أصبح على هذه الكلمات: إن تُعذبني فإني لك محب وإن ترحمني فإني لك محب، فلم يزل يردِّدُها ويبكي حتى طلع الفجر. وقال: كابد الصلاة عشرين سنة، وتنعّم بها عشرين سنة، وقد دعا ربه ﷻ أن يهبَ له ثلاث خصالٍ، دعا الله تعالى أن يَمُنَّ عليه بصوت حزين، ودمع غزير، وغذاءٍ من غير تكلّف. فكان إذا قرأ بكى وأبكى وكانت دموعه جارية دهرَهُ، وكان يأوي إلى منزلهِ فيصيبُ قوتهُ لا يدري من أين يأتيه وكان إذا استحسن الطَّيرَ دعاهُ فيجيء حتى يسقُط على فخذهِ فيمسَّه ثم يتركه فيطير.

قال قدامة بن أيوب: رأيت عتبة في المنام فقلتُ: ما صنع الله بك؟

قال: دخلتُ الجنة بتلك الدعوات المكتوبة في بيتك، فأتيت إلى بيتي فإذا خطُّ عتبة في الحائط:

«يا هادي المضلِّين وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كُلَّهم أجمعين واجعلنا من الأحياء المرزوقين مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ... آمين يا ربَّ العالمين»[2].

❀ ❀ ❀

(1) عتبة الغلام (عتبة بن أبان): هو الخاشع الخائف.
(2) أحاسن المحاسن.

الظلم داء والعفو دواء

قال الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله: ظهر بيعقوب بن الليث علة أعيت الأطباء فقيل له: في ولايتك رجل صالح يسمى: «سهل بن عبد الله» لو دعا لك لعلَّ الله يستجيب له، فاستحضر سهلاً فقال له: ادعُ الله ﷻ لي.

فقال سهل رحمه الله: كيف يجاب دعائي فيك وفي محبسك ـ حبسك ـ مظلومين!! فأطلق كل من كان في حبسه.

فقال سهل: «اللَّهم كما أريته ذلَّ المصيبة بما ابتليته به وعجز عن إزالته ... فأره عِزَّ الطاعة التي طلب الخلاص منها وفرَّج عنه» فعوفي من ساعته.

فعرض مالاً على سهل فأبى أن يقبله، فقيل له: لو قبلت ودفعته إلى الفقراء لكان خيراً لك! فنظر إلى الحصباء ـ في الصحراء ـ فإذا هي جواهر، فقال لأصحابه: من يُعطَى مثل هذا يحتاجُ إلى مال يعقوب بن الليث!!

في ذلك دلالة على أن الكرب العظام لا يفرجها مالٌ ولا جاه ولا سلطة ولا طب إنما يفرَّجها رد المظالم وصحيح الافتقار والتوبة و الالتجاء إلى من بيده النفع و الضر.

❀ ❀ ❀

عتيق من النار

قيل: تعلَّق شابٌ بأستار الكعبة وقال: «إلٰهي ...لا لك شريكٌ فيؤتى ولا وزير فيُرشى، إن أطعتك فبفضلك... ولك الحمد، وإن عصيتك... فبجهلي ولك الحجَّةُ فبإثبات حجَّتك عليَّ وانقطاع حجَّتي لديك ... إلا غفرت لي».

فسمع هاتفاً يقول: الفتى عتيقٌ من النار.

استدعاء الرحمة :

هذا من أحسن الأسباب في استدعاء الرحمة بالفعل والقول أما الفعل: فالتعلَّق بالجنان، وأما القول: فحسنُ الخطاب لأن قوله: «فبإثبات حجَّتك عليَّ»

إقرارُ الله بلزوم الحق عليه كما قال تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾[1]. وقوله: «وانقطاع حُجتي لديك» إقرارُ بالمعصية ومن تكون هذه حالته فهو فقير إلى الرحمة، ومن له الحجة فهو المقتدر على ما يشاء ويرغب إليه في العفو عن الخطأ.

❀ ❀ ❀

حوَّل الحصاة إلى ذهب

قال خالد بن الغرز: كان حيوة بن شريح داعياً من دعاة البكائين وكان ضيق الحال جداً، فجلست إليه ذات يوم، وهو مُخْتَلٍ وحده يدعو، فقلت: رحمك الله، لو دعوت الله فوسع عليك في معيشتك.

قال: فالتفت يميناً وشمالاً، فلم يرَ أحداً، فأخذ حصاة من الأرض فقال: «للَّهم اجعلها ذهباً» !!.

قال الرجل: فإذا هي والله تبره في كفه ما رأيت أحسن منها . قال: فرمى بها إليّ، وقال: ما خير في الدنيا إلا الآخرة، ثم التفت إليَّ فقال: هو أعلم بما يصلح عباده، فقلت: ما أصنع بهذه؟ قال: استبقها فهُبْتُ والله أن أرده.

❀ ❀ ❀

لماذا لا يستجيب الله لنا

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم :

1 ـ عرفتم الله فلم تطيعوه.

2 ـ وعرفتم الرسول ﷺ فلم تتبعوا سنته.

3 ـ وعرفتم القرآن فلم تعملوا به.

4 ـ وأكلتم نعم الله فلم تؤدّوا شكرها.

5 ـ وعرفتم الجنة فلم تطلبوها.

---

(1) سورة: الأنعام، الآية: 149 .

6 ـ وعرفتم النار فلم تهربوا منها.

7 ـ وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه.

8 ـ وعرفتم الموت فلم تستعدوا له.

9 ـ ودفنتم الأموات فلم تعتبروا.

10 ـ وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس[1].

قال سهل بن عبد الله التستري شروط الدعاء ـ أي شروط قبوله ـ سبعة: أولها التضرع، الرجاء، والمداومة، والخشوع، والعموم، «الدعاء للجميع» وأكل الحلال.

❀ ❀ ❀

(1) تفسير القرطبي 1/ 686 عند الآية: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾ سورة: البقرة، الآية: ١٨٦.

obeikandl.com